

أ . عالية بشيرة، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر

أ. طلبة سعاد جامعة الجلفة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجلفة

مقدمة:

تعتبر ظاهرة الفقر واحدة من أهم المعضلات التي واجهتها المجتمعات في مر العصور ، ففي القديم ارتبطت ظاهرة الفقر بفقدان الموارد أو بالحروب التي تؤدي إلى الاستعباد و القهر. أما النظريات الاجتماعية فإنها عندما درست ظاهرة الفقر لم تفصلها عن الوجه الآخر إلا و هو العملة .أي وجود أفراد أغنياء أو أمم غنية تجد من مصلحتها الدائمة إبقاء الأمم الأخرى في حالة فقر مستمر .

ففي تراثنا الإسلامي نجد المقولة الشهيرة لعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) "لو كان الفقر رجلا لقتلته"، وفي التراث الفلسفي نجد مقالة أرسطو "الفقر هو مولد الثورات و الجريمة"، فالعديد من الثورات الاجتماعية و السياسية الكبرى في التاريخ الإنساني كان الفقر سببها الرئيسي أو أحد أسبابها المهمة ، ومعظم الجرائم التي ترتكب كان سببها الرئيسي عامل الفقر الذي يؤدي ببعض الأفراد إلى ارتكاب الجريمة ومن أهم النظريات الاجتماعية الحديثة التي تناولت الفقر كأهم محور من منطلقاتها، هي "الاشتراكية " التي جاءت بشكل أساسي لتصدي ظاهرة الفقر و معالجة مشكلة الفوارق الكبيرة في الثروة بين الأفراد كما بين الأمم ، و على أساس تلك النظرية بني العديد من الأقطار الحديثة ، كما كان لها أثر مهم في توجيه دفة الصراع بين الأمم لعقود طويلة .

لذلك تعتبر ظاهرة الفقر من الظواهر الاجتماعية المعقدة التي تتسبب بعدد من العوامل وتتفاعل معها، وهي ظاهرة منتشرة في أنحاء المجتمع، ولا تقتصر على جزء جغرافي منه، فهي في الحضر كما هي في الريف.

المبحث الأول: تعريف الفقر

1-1 تعريف الفقر لغة: الفقر في اللغة هو ضد الغنى، وأصل الفقر هو المكسور الفقار أي خرزات الظهر: وهي عظام منتظمة في النخاع، ويقال: أصابته فاقرة: أي داهية تكسر الفقار، وقد عرف العلماء الفقر بأنه: فقد ما يحتاج إليه الإنسان⁽³⁰³⁾.

303 - ابن منظور، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج1، دار الفكر، بيروت، 1977، حرف أ و ب ، ص 237.

2-1 الفقر من وجهة النظر الاجتماعية: جاء في قاموس علم الاجتماع بأن الفقر: مستوى معيشي منخفض لا يفي بالاحتياجات الصحية والمعنوية المتصلة بالاحترام الذاتي لفرد أو مجموعة من أفراد، وينظر إلى هذا المفهوم نسبيا نظرا لارتباطه بالمستوى المعيشي العام للمجتمع، وبتوزيع الثروة، ونسق المكانة والتوقعات الاجتماعية⁽³⁰⁴⁾

ولقد رد كثير من الكتاب في البلدان المتقدمة والنامية المشاكل الاجتماعية الى الجريمة والانحراف بالفقر، وهناك العديد من العلماء الذين تطرقوا الى الفقر من وجه النظر الاجتماعية ومنها:

يعرفه لامبمان (Lampman): "بأنه نسبي أكثر من أنه مطلق، كما أنه أساسي نوعي أكثر من كمي، وهي الى درجة ما شخصي أكثر من أنه موضوعي، وهو يرجع الى الشروط العامة للشخص أكثر من أمور خاصة لوجوده".

ويعرفه كلينارد أبوت (Clinard Abott): "بأن الفقر يعني عدم الكفاية بالنسبة لمستوى معين من العيش، عدم المساواة في توزيع الدخل، عدم القدرة على تحقيق بعض الطموحات وثقافة فرعية لأنماط من السلوك والمواقف"⁽³⁰⁵⁾.

إنّ تعريف كلينارد أبوت (Clinard Abott): "تعريف واسع يغطي محتوى الفقر Dumension of pavery" المناسب لإجراء تحليل في كل من البلدان النامية والمتقدمة غير أن التركيز على البلدان النامية ومشاكلها الخاصة بالفقر، يمكننا من تبني تعريف ضيق للفقر، وببساطة فإن الفقر بالنسبة للأمم النامية يمكن أن يعني عدم الكفاية في الضروريات المادية للحياة ومستوى معيشي غير لائق، ويتغير مستوى المعيشة هذا تبعا للوقت والمكان بين مجتمعات مختلفة أو في المجتمع الواحد.

في حين يرى (مارك فريد): "أن الفقر باعتباره حالة واقعية وليست وحدة تصورية، يمثل مجموعة من المشكلات غير المترابطة مثل تفشي البطالة، والبطالة المقنعة، واللامساواة في الرفاهية، والهجرة، وتفاوت الخدمات في البيئة الحضرية، وتدهور البيئة الريفية، أي أن الفقر يعد واقعا اجتماعيا يتطلب التفسير، بينما ذهب بعض الباحثين الى أن الفقراء هم الذين صنفهم المجتمع

304 - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص ص 241-242.

305 - د - علي مانع، جنوح الأحداث والتغيير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة: دراسة في عمل الإجماع المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1996، ص 100.

في عداد الفقراء، والذين صدرت من المجتمع ردود فعل معينة تجاههم، أي أن ظاهرة الفقر تمثل حالة يعترف بها المجتمع كحالة واقعية بها وضع معين، وأنه أحد ملامح البيئة الاجتماعية⁽³⁰⁶⁾.

ومن وجهة نظر سوسولوجية يعرف الفقراء بأنهم من يحصلون من المجتمع على مساعدة اجتماعية، فالفقر يجب أن ينظر إليه على أنه: "حالة يعجز فيها الإنسان بسبب مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية عن تلبية حاجاته المادية والمعنوية في ظل نظام اجتماعي وثقافي محدد".

ومهما يكن، فإن كل المحاولات التعريفية بالرغم من تنوعها وتعددتها يمكن تقسيمها وفقاً لمجموعتين تستند الأولى في تعريفها للفقر على محددات كمية، في حين تركز الثانية على محددات كيفية، إذ أن هناك من ينظر إلى هذه الظاهرة -الفقر- في ضوء عيش الكفاف كالدخل والحاجات المطلوبة اجتماعياً، أو الحرمان النسبي كالنقص في بعض الموارد الضرورية للعيش مثل الغذاء وظروف المعيشة وأسباب الراحة المتعارف عليها، وفي هذا الصدد يفرق (عبد الله محمد قسم السيد) بين مفهومين للفقر يرتبط المفهوم الأول بحياة الكفاف وذلك بتوفر مستوى من الدخل الضروري لشراء احتياجات الأسرة من الطعام الكافي لإشباع كل أفرادها، وتلبية الاحتياجات الضرورية من مسكن وملبس وماء في حدها الأدنى، أما المفهوم الثاني، فيربط الفقر بالحرمان النسبي، بحيث لا ينحصر في عدم وجود الطعام والملبس والمسكن، والتمتع بالصحة، وإنما يشمل عدم المشاركة الاجتماعية في الحياة اليومية بسبب انخفاض الدخل⁽³⁰⁷⁾.

ويعرف الفقر عموماً من حيث العوامل التي أثرت فيه، ومن حيث حدته، وكذا خلفياته ومخلفاته في أن واحد لذا فإن الفقر الذي تعيشه المجتمعات ليس بظاهرة متشابهة بل هو في حد ذاته ظاهرة نسبية فمثلاً الفقر في البلدان الأوروبية يختلف عن الفقر بالجزائر كونه لا يتوقف فقط على الظروف المادية بل يتعداه إلى الظروف الاجتماعية والثقافية التي تعيشها الشعوب "فالفقر ليس عبارة عن ظرف فقط ولكنه عبارة عن سيروية متعددة الأبعاد الجد معقدة"⁽³⁰⁸⁾.

وبهذا الصدد فقد عرّف (P.Tawsend) "الفقر والفقراء بقوله يمكن اعتبار أفراد أو أسر أو مجموعات من السكان في حالة فقر حين تنقصهم الموارد اللازمة للحصول على التغذية النموذجية والمشاركة في الأنشطة والقدرة على تحسين وضعيتهم في المجتمع الذي يعيشون فيه"⁽³⁰⁹⁾.

306 - علي ليلة، دور المنظمات الأهلية في مكافحة الفقر، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة، 2002، ص 129.

307 - عبد الله محمد قسم السيد، التنمية في الوطن العربي، دار الكتاب الحديث، ليبيا، 1994، ص 23-24.

308 - Khan Mohamed Hsan, La pauvreté rurale dans les pays en développement, en finances et développement, N° 4, décembre 2000, p26.

309 - Cité in surens Jacques, droit et pauvreté , Braylant, Bruxelles, 1992, p19.

فالفقر هو الجوع العام الذي يجد معه الفرد إشباعاً لحاجاته الجسمية، أو النفسية، أو الاجتماعية وهو حالة من مستوى المعيشة المنخفض الذي إذا طال أمده، أثر على صحة الفرد وأخلاقه واحترامه لذاته، كما أنه جريمة لأنه يجرد الإنسان من إنسانيته.

فالفقير المحروم، الجوعان والعريان الذي لا يجد مأوى، والذي لا يتوفر له ما يحفظ عليه آدميته وكرامته، يكون معرضاً ولا شك للانهييار الذي قد يقوده إلى الكفر بأي شيء وكل شيء بما في ذلك الكفر بنفسه وقيمه ومجتمعه ووطنه⁽³¹⁰⁾.

وعلى ضوء التعريفات السابقة الذكر فهناك تحليلات كمية (إحصاءات منشورة، مسح بالعينة وأخرى كيفية للفقر ترسم صورة الفقر كتجربة معاشة من خلال عينات صغيرة أو دراسات حالة)، وقد وضع تقرير التنمية البشرية الصادر سنة 1998 دليلاً للأبعاد التي يمكن قياسها للتعرف على حالة الفقر في مجتمع معين، وأهم هذه الأبعاد هي:

1- الحرمان من البقاء على قيد الحياة، مقاساً بالنسبة المئوية للسكان الذين يرجح أن يموتوا قبل سن الستين.

2- الحرمان من المعرفة مقاساً بالنسبة المئوية للسكان الأميين الذين يفتقرون إلى القدرة على القراءة والكتابة بدرجة تكفي لتلبية أبسط مطالب المجتمع الحديث.

3- الحرمان من إشباع الحاجات الاقتصادية مقاساً بنسبة سكان الذين يقل دخلهم الشخصي الذي يمكنهم التصرف فيه عن 50% من الدخل الوسيط، مما يتركهم عاجزين عن تحقيق مستوى المعيشة اللازم لتجنب الشدائد والمشاركة في حياة المجتمع.

4- الاستبعاد الاجتماعي، مقاساً بأحد أهم جوانبه وهو النسبة المئوية للعاطلين عن العمل لمدة طويلة⁽³¹¹⁾.

فالفقير وفق هذه الرؤية هو ذلك الذي تعوزهم ظروفهم المادية عن توفير الصحة والغذاء الملائم، ويحرم من تلقي الحد الأدنى للمعرفة، بفعل ضعف الدخل أو انعدامه.

3-1 موقف الرأسمالية من الفقر:

إن الرأسمالية ترى أن الفقر شر من شرور الحياة، ومشكلة من مشكلاتها، ولكن المسؤول عنه هو الفقير نفسه، أو الحظ، لا الأمة ولا الدولة، ولا الأغنياء، فكل فرد مسؤول عن نفسه، حر في تصرفه، حر في ماله، وقد انقسمت الجماعات في المعسكر الرأسمالي إلى قسمين:

³¹⁰ - أحمد حوتي وآخرون، البطالة وعلاقتها بالجريمة والانحراف في الوطن العربي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 1998، ص ص 133-134.

³¹¹ - تقرير التنمية البشرية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص 27.

- أصحاب الأموال والأغنياء

- العمال والفقراء

ومن الغريب أن تتحاز الحكومات إلى أصحاب الأموال والأغنياء، وأن تأخذ على عاتقها حماية رأس المال ضد تمرد العمال، وثورة الفقراء، دون أن تضع شيئاً للتخفيف من حدة التفاوت بين الدخل والثروات أكثر من أن تزيد الضرائب أملاً في التقريب بين الفئات والإقلال من تجمع الثروات في أيدي قليلة، والتوسع في إنشاء مجالات الخدمات العامة للفقراء⁽³¹²⁾.

4-1 الفقر من وجهة نظر الاقتصاديين:

لكل فرد من أفراد المجتمع حاجاته، ورغباته وأهدافه التي يصبوا إلى تحقيقها، وتختلف هذه الرغبات والأهداف من فرد إلى آخر من حيث النوع والعدد وترتيبها التفاضلي، ولكل رغبة من هذه الرغبات عدد من الوسائل والأساليب لإشباعها، ويختلف الترتيب التفاضلي لهذه الوسائل والأساليب من فرد لآخر، فالفرد يحرص على أن يبقى على قيد الحياة ويضع هذا الهدف في قمة السلم التفاضلي لأهدافه، ولكي يحقق هذا الهدف فهو بحاجة إلى الأمان والغذاء والكساء والدواء.. الخ.

لذلك ولتحقيق هذه الأهداف يضطلع الاقتصاد إلى لعب دور أساسي يتمثل في:

- إشباع الحاجات العامة بكافة أنواعها

- توجيه موارد المجتمع الاقتصادية نحو استخداماتها المثلى.

- إعادة توزيع الدخل والثروات بما يحقق العدالة الاجتماعية.

- تحقيق الاستقرار الاقتصادي سواء كان ناتجاً عن عوامل محلية أو خارجية.

- تحقيق المعدلات المثلى للتنمية الاقتصادية⁽³¹³⁾.

إذ اختلاف هذا الإشباع تكون نتيجته وخيمة على الأفراد، وينتج التفاوت واللامساواة

الاجتماعية (الفقر)، لذلك فإن علماء الاقتصاد يعرفون الفقر كما يلي:

1- تعريف روبرت مكنمار: هو الرئيس السابق للبنك الدولي ويعرف الفقر كما يلي: "هو تلك

الأحوال المعيشية التي تتكون نتيجة سوء التغذية والجهل والمرض، والقدارة وارتفاع وفيات

الأطفال، وقصر العمر الافتراضي، مما يجعلها أدنى من المستوى المعهود للحياة اللائقة"⁽³¹⁴⁾.

ونجد أن هذا التعريف يركز على المؤشرات الاجتماعية التي تستدل من خلالها على وجود

الفقر.

³¹² - د. يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1998، ص 09.

³¹³ - حامد عبد العزيز دراز، مبادئ الاقتصاد العام، جامعة بيروت، لبنان، 1995، ص 35.

³¹⁴ - الن.ب.درننج، الفقر والبيئة، تر: محمد صابر، الدار الدولية للنشر، القاهرة، 1991، ص 10.

2- تعريف علي وهب: إن الفقر يعني الحرمان على أشده، بحيث لا يمكن الحصول على الحاجات الأساسية للعيش إلا نادراً، وهذا لا يتجاوز الحد الأدنى للبقاء على قيد الحياة⁽³¹⁵⁾. إن هذا التعريف يركز على الحاجات الأساسية المتمثلة في الأكل، اللباس، المأوى فقط، ويستبعد الحاجات الأخرى التي تؤثر على ظاهرة الفقر مثل الدخل، الصحة، التعليم وغيرها.

3- تعريف جراوييل Graw Hill: "إن الفقر حالة من النقص المادي الذي يترجم بصفة عامة بمستوى الدخل النقدي، الذي يبقى دائماً أقل من مستوى حد الفقر"⁽³¹⁶⁾.

5-1 الفقر من منظور الهيئات الدولية:

لقد تعددت التعاريف الخاصة بالفقر في مختلف المنظمات الدولية، وهذا حسب المقاييس التي تعتمدها كل منظمة في تحديد المقاييس التي تمكنها من حساب مستوى المعيشي للأفراد.

1-5-1 مفهوم الفقر الإنساني في الأمم المتحدة: ظهر مفهوم الفقر الإنساني سنة 1997 في التقرير العالمي للتنمية الإنسانية، وعرف على أنه ما يفرض من الخارج من غياب الفرص والخيارات الأكثر أساسية للتنمية الإنسانية مثل فرصة العيش حياة طويلة وسليمة، وبناءة والتمتع بمستوى معيشي لائق وكذلك بالحرية والكرامة واحترام الذات واحترام الآخرين ويهتم مفهوم الفقر الإنساني بالإمكانات المتاحة لأكثر الناس حرماناً بالموارد التي يحتاجونها للتخلص من الفقر وتراعي أيضاً اللامساواة بين الجنسين والطريقة التي توزع بها الموارد من غذاء وتعليم وخدمات صحية داخل الأسرة الواحدة.

1-5-2 مفهوم الفقر الإنساني لدى البنك الدولي: يعتبر الفقر من بين الاهتمامات الأساسية للبنك الدولي منذ مطلع التسعينات ويعطي تعريف لمصطلح الفقر المدقع وهو ذلك الفقر المرتبط بالذين يعيشون على دولار واحد من دولارات الولايات المتحدة أو أقل في اليوم، بالرجوع إلى تقديرات البنك الدولي نجد أنه في 1998 أن أكثر من 3 مليارات نسمة في دول العالم النامي تعاني الفقر بقسوة شديدة بحيث يموت كل سنة ما يقارب 8 ملايين طفل نتيجة للأمراض التي تسببها المياه القذرة والهواء المسمم كما يصاب 50 مليون طفل بعجز عقلي أو بدني بسبب التغذية غير الكافية و130 مليون، 80 مليون منهم من الإناث يحرمون من فرص الذهاب إلى المدرسة، إضافة إلى 150 مليون طفل دون سن الخامسة يعاني من سوء التغذية بدرجة خطيرة، و260 مليون آخرين يعانون من فقر دم أو درجة نقص أخرى في الفيتامينات أو المعادن⁽³¹⁷⁾.

1-5-3 الفقر في مفهوم مكتب العمل الدولي :

³¹⁵ - علي وهب، خصائص الفقر والأزمات الاقتصادية في العامل الثالث، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1996، ص 140.

³¹⁶ - Douglas Green Wald, encyclopédie économique, éd economica, Paris, 1984, p691.

³¹⁷ - م، ليزين، حقوق الإنسان والفقر المدقع، المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة، لجنة حقوق الإنسان، الدورة 55، 1998.

الفقر ظاهرة معقدة وحقيقة راسخة ومستشرية والفقر كابوس للأفراد، فهو يشكل حلقة مفرغة قوامها اعتلال الصحة، وانخفاض القدرة على العمل وتدني الإنتاجية، وقصر العمر المتوقع، أما بالنسبة للأسر، فالفقر مصيدة تؤدي الى عدم كفاية التعليم، ونقص المهارات والدخل غير المضمون، والتبكير بالإنجاب وسوء الصحة، والوفاة المبكرة، وبالنسبة للمجتمعات يشكل الفقر نقمة تعوق النمو وتؤجج الاضطراب، وتحول دون تقدم البلدان الفقيرة على طريق التنمية المستدامة⁽³¹⁸⁾.

1-5-4 الفقر في مفهوم البنك الدولي للتنمية:

وفي تقريره لسنة 1994 يحدد تصورا واضحا - وإن كان كميا- لقضية الفقر ليتضمن مختلف الأوضاع الاجتماعية من تعليم وصحة وتغذية وذلك الى جانب المفهوم الاقتصادي للدخل المنخفض، ويبرز التقرير مجموعة مؤشرات إحصائية تتجلى من خلالها معالم حالة الفقر في الدول النامية من ذلك مثلا أن توقعات الحياة في اليابان تقارب 80 سنة، بينما لا تتعدى 50 سنة في إفريقيا جنوب الصحراء، وأن نسبة وفيات الأطفال دون الخامسة من العمر تصل الى 170 في الألف في جنوب آسيا، فإنها لا تتعدى 10 في الألف في السويد، وما زال هناك 110 مليون طفل في الدول النامية لا يحصلون على أي نوع من التعليم، والجدير بالملاحظة أن أعباء الفقر تقع بصفة خاصة على شريحتي النساء والأطفال وينتهي التقرير تحليله بالاستنتاجات الآتية:

- أن النمو الاقتصادي أمر ضروري، ولو أنه غير كاف لمكافحة الفقر مهما كانت السياسات التوزيعية، فمن الصعب اتخاذ خطوات كثيرة في القضاء على الفقر في ظروف ركود اقتصادي عام والتدهور الاقتصادي الذي تمر به حاليا بعض الدول وخاصة الإفريقية منها.
- تنفيذ سياسات حكيمة تستهدف تحسين حال الفقراء والقضاء على الفقر، مع ضرورة تكيف هذه السياسات تبعا لخصوصيات كل بلد وظروفه الخاصة.
- إن تحسين حال الفقراء ليس مرهونا بالوصول إلى مستويات عليا من الدخل القومي، حيث تدل معطيات الواقع أنه رغم عدم تناسب المؤشرات الاجتماعية (نسبة وفيات المواليد، متوقعات الحياة، التعليم...) في أغلب الأحيان مع الثراء (متوسط الدخل القومي للفرد). إلا أنه هذه المؤشرات تصل الى قرب قسمتها بعد حوالي 1500 دولار للفرد سنويا⁽³¹⁹⁾.

6- الفقر من منظور مختلف الاتجاهات الدينية:

³¹⁸ -مكتب العمل الدولي، تقرير المدير العام الخلاص من الفقر، مؤتمر العمل الدولي، الدورة 91، ط1، سويسرا، 2003، ص 01.

³¹⁹ - د. فضيل دليو، فعاليات اليوم الدراسي الأول لمخبر علم الاجتماع: التحديات المعاصرة: العولمة، الإنترنت، الفقر...، مخبر علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002.

يدلنا التاريخ على أن الدين يؤثر على الاتجاهات والسلوك الاقتصادي، فهناك ميل في الدين في النظر إلى الفقر أنه فضيلة، وحث الأفراد على البعد عن الملذات المادية، فكثير من الأديان تذهب إلى أن الجنة للفقراء، وهم الذين سيرثون الأرض⁽³²⁰⁾.

ويقول الدكتور محمد الفاضل بن علي اللافي: "أن الإنسانية إنما انتشرت في الأرض من نقطة جغرافية واحدة، وهي المنشأ الأم، حاملة معها مبادئ الإيمان التوحيدية ولكنها لم تصمد طويلاً تحت مؤثرات العزلة وانعدام شعاع الوحي، ونوره الذي يجدد فيها الدين ويحفظها من الزيغ والانحراف، فحل محل خير السماء وتوجيهات النبوة الاجتهاد البشري والتأسيس الإنساني"⁽³²¹⁾.

لذلك نجد أن العديد من الديانات تناولت ظاهرة الفقر ومنها التالي:

6-1 الفقر في الديانة اليهودية:

أقرت الديانة اليهودية بالحقيقة الأزلية من أن الفقر -بمعنى عدم التوازن في الرزق- ظاهرة طبيعية وسنة كونية، لا سبيل إلى القضاء عليها، ولكنها عالجت آثار ذلك بالتقرير التالي:

- أن الله مالك السموات والأرض
- أن الفقر والغنى بيد الله وحده
- أن العمل الجاد يؤدي إلى الكفاية، والبطالة تؤدي إلى الفقر.
- ترغيب المنفق على الفقراء بالستر، وترهيب المعرضين عنهم باللعنات.
- الفقير المستقيم خير من الغني الظالم.⁽³²²⁾

يتبين مما سبق أنها نصائح ومواعظ دون التزام عن طرق الثواب والعقاب الدنيوي أو الأخروي، لأن التوراة المنزلّة ليس فيها أي إشارة لليوم الآخر أو البعث أو الحساب بشكل واضح، وما ورد في التلمود حول دخول الجنة والنار يغلب عليها الغموض، وعدم التناسق فيما بين أجزائه⁽³²³⁾. لذلك فإن نظرة اليهود إلى الفقراء لا يوجد فيها ما يستدعيهم إلى البذل لهم، بل يرون أن الفقر والتخلف إنما يأتي من الكسل والجبن.

6-2 الفقر في الديانة المسيحية:

أقرت المسيحية بما أقرت به اليهودية بالنسبة للفقر، فلم تزد لعلاجها لآثاره الاجتماعية على أن تتخذ أسلوب الوصايا والمواعظ والتربية الأخلاقية استشارة للمشاعر الإنسانية، واستدرااراً للعطف والبر دون

³²⁰ - سامية مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط2، 1993، ص129.

³²¹ - محمد الفاضل بن علي اللافي، مقدمة منهجية في تاريخ الأديان المقارنة، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2006، ص

325.

³²² - محمد عبد المنعم جمال، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة، 1986، ص 54.

³²³ - محمد الفاضل بن علي اللافي، مرجع سابق، ص 117.

أن تضع إجراء يلزم الأغنياء بكفاية حاجة إخوانهم الفقراء، بل من جهة أخرى دعت الفقراء إلى الزهد والتقشف وحببت إليهم حياة الحرمان.

نتيجة لهذه التعاليم، قال "ماركس وإنجلز" أن المسيحية أباحت الرق في العالم القديم، ونظمت العبودية في العصور الوسطى، وإنها مستعدة للدفاع عن ظلم الطبقات العاملة في العصر الحديث، وأن تعاليم المسيحية لا تعارض وجود طبقة حاكمة ظالمة، دون أن تقدم للجماهير سوى الأمل في أن يتحول الحكام للخير، لذلك فإن "ماركس وإنجلز" بررا في أن الكنيسة فشلت في علاج المشكل الاجتماعي، والمشكل الاقتصادي، وأنها اضطرت إلى أن تتملق الرأسماليين والدكتاتوريين وأنها كانت دائما في خدمة الأقوى، وقد كان هذا الشعور من "ماركس وإنجلز" ضد الكنيسة من الأسباب التي دفعتهما لمحاولة هدم الدين في نظريتهما الاقتصادية⁽³²⁴⁾.

6-3 الإسلام والفقير:

يرى الإسلام أن الفقر جريمة في حق الأفراد، يحدث بسبب جشع الأغنياء، واستعمار الأقوياء وهو مرض أعراضه تشويه الإنسانية، وتلوث الفكر، وانحراف العقيدة والسلوك، وهو قمة الجشع مع قمة الحرمان، وقد وصف عالم أمريكي هذا الجشع بقوله "أنه يجري في عالم الرأسمالية تعليم الفقراء تربية الدجاج لكي يأكل الأغنياء البيض الطازج"⁽³²⁵⁾. ويضن البعض أن الإسلام يحبذ الفقر ويندب إليه ويثيب على البؤس والحاجة والتقشف ويكره الغنى والثروة وجمع الأموال، ولكن الحقيقة على العكس من هذا فإن الإسلام يمقت الفقر ويقاوم الحالات التي تسوق الإنسان إلى المسكنة والذل والمهانة من جراء الحاجة، ولا يحزن الفقير على ما به من ضيق وليعلم أن ما ينتظره في الدار الآخرة خير وأبقى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمس مائة عام"، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره". مسلم (6682)

هذا وإن أكرم خلق الله سيدنا محمد (الله صلى الله عليه وسلم) عانى في الدعوة من الفقر، فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت خاويا ليالي ما له ولأهله عشاء، وكان عامة طعامه الشعير، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع⁽³²⁶⁾

المبحث الثاني: الفقر والسلوك الانحرافي

324 - نفس المرجع، ص 56.

325 - أحمد صبحي، أحمد مصطفى العيادي، الأمن الغذائي في الإسلام، دار النفائس، ط1، عمان، 1999، ص 119.

326 - عمار الكردي، الإنسان والفقر، دار المعرفة، دمشق، 1995، ص 102.

للتطرق إلى العلاقة بين الفقر و السلوك الانحرافي يجب التعريف بهذا المفهوم الذي أصبح من المفاهيم الغامضة و النسبية التي تطرق إليها العديد من العلماء و الباحثين:
2-1-تعريف السلوك المنحرف:

يحدد ماكسويل Maxwell إلى القول بأن السلوك الانحرافي عمل نسبي لايقبل التريف المطلق حيث أن نسبته تمنع أو تعيق إيجاد تعريف محدد و ثابت له. (327)
وهو السلوك الذي يتعارض أو يتصارع مع المستويات أو المعايير المقبولة ثقافيا و اجتماعيا داخل نسق أو جماعة اجتماعية، و لذلك فإن فكرة الانحراف شأنها شأن السواء ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الثقافي للجماعة، لذلك تختلف أهمية الانحراف باختلاف المعايير الاجتماعية للجماعة ، فالجماعة تعتبر السلوك منحرفا ،إذا لم يتسق مع المعايير الاجتماعية السائدة فيها ، فالسلوك المنحرف هو سلوك يخالف التوقعات النظامية التي يعتبرها النسق الاجتماعي عامة و مقبولة شرعيا. (2)

و يعرفه د،غريب محمد السيد احمد بأنه السلوك الذي لا يمثل للتوقعات الاجتماعية و عندما يصف عالم الاجتماع نوعا من السلوك على أنه انحرافي، فهو لا يدين هذا السلوك أو يرى انه سيء أو مؤذ، وهو في ذلك يخالف التصور الشائع و يمكن أن يكون الانحراف من وجهة نظر معينة ،أكثر نماذج السلوك دفاعية من الناحية الأخلاقية فقد يكون انحراف شخص معين بمثابة انتهاك لتوقعات اجتماعية تعتبر في الواقع غير عادلة و غير ملائمة ،و في هذا الصدد يشير بعض علماء الاجتماع الى أن مهمة عالم الاجتماع لا تكمن في استحسان السلوك الإنساني أو إدانته، وإنما في تفهم الأساس الذي من خلاله يستهجن الناس سلوك بعضهم البعض، وأسباب هذا النوع من السلوك ونتائجه.(3)

هو السلوك الذي يتعارض أو يتصارع مع المستويات والمعايير المقبولة ثقافيا واجتماعيا داخل نسق أو جماعة اجتماعية ولذلك فإن فكرة الانحراف شأنها شأن السواء ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الثقافي للجماعة، لذلك تختلف أهمية الانحراف باختلاف المعايير الاجتماعية للجماعة ، فالجماعة تعتبر السلوك

327 - د. فهمي سليم الغزوي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2004، ص384.

2 - د. محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 470.

3 - د.غريب محمد سيد أحمد، سامية محمد جابر، علم الاجتماع السلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص.65

4 - د/ محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 131.

328 - د/ علي مانع، جنوح الأحداث والتغيير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة: دراسة في عمل الإجرام المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1996، ص.104.

328 - د/ علي مانع، جنوح الأحداث والتغيير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة: دراسة في عمل الإجرام المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1996، ص 104

منحرفا إذا لم يتسق مع المعايير الاجتماعية السائدة فيها، فالسلوك المنحرف هو سلوك يخالف التوقعات النظامية التي يعتبرها النسق الاجتماعي عامة ومقبولة شرعيا⁽⁴⁾

2-2- الفقر والسلوك الانحرافي

والسلوك الانحرافي يعني في دراستنا هذه توجه بعض الأفراد سواء كانوا من الممتننين أو المترددين على السلوك الانحرافي والمتمثل في الشعوذة والخروج عن المعايير والمعتقدات السائدة في المجتمع.

لقد ربط المفكرون بين الفقر والسلوك الانحرافي منذ زمن بعيد فقد قال أفلاطون بهذه العلاقة حين أوضح "أن حب الثروة والجشع المادي هو السبب الأول للسلوك الإجرامي". وعليه اقترح علماء الاجتماع في القرنين التاسع عشر والعشرين بأنه كانت هناك علاقة سببية مباشرة بين الفقر والتبعية الناتجة عن العيش الحضري من جهة، وبين الجريمة والانحراف من جهة أخرى (مايهو 1962 Mayhew، شولا لي 1973 Chevalier، مونكونان 1975 Monkonnen)، فهناك أبحاث كثيرة في الو.م.أ وأوروبا حول الظروف الاقتصادية بصفة عامة والفقر (بمعنى الضغط المباشر للحاجة) بصفة خاصة فالرواد الأوائل من علماء الإجرام مثل كيتليت 1986 Quetlet في فرنسا، قاري 1833 Gurry فرنسا وبلجيكا، مايهو 1862 Mayhew، بوث 1892 Both وبارت 1892 Burt في بريطانيا وآخرون اقترحوا بوجود علاقة بين الفقر والجريمة، بالإضافة الى ذلك فإن وليام بونجر 1916 William Bonger وهو عالم اقتصادي هولندي، رد تقريبا كل شكل من أشكال السلوك الانحرافي إلى الفقر⁽³³⁰⁾.

فالفقر وعلاقة بالجريمة والانحراف في المجتمعات النامية يجب أن لا يفصل عن آثار التغير الاجتماعي والتمدن، حيث أنه تحت تأثير التمدن ازداد شعور كثير من الناس في العالم الثالث بالفقر النسبي، إن التنمية الاقتصادية في هذه البلدان كثيرا ما توصف بثورة ارتفاع الطموحات مثل الحصول على تلفزة، ثلاجة، راديو، ملابس، سيارات، وأشياء استهلاكية أخرى وفشل تحقيق هذه الطموحات وخاصة وسط الشباب يخلق توترا وارتفاعا في الجريمة والانحراف، وقد أشار توبي 1967 Toby "الى أن الناس يسرقون لا لأنهم يموتون جوعا، ولكن لأنهم حسودون وهم أكثر قابلية للحسد من ملكية الآخرين في بلدان ذات المستوى المعيشي المرتفع وهذه الثورة في ارتفاع الطموحات هي السبب تأثر في نفس الوقت لكسب السيارات، التلفزة، الراديو، ... وليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية أو أوربا بل في إفريقيا، آسيا، وأمريكا الجنوبية"⁽³³¹⁾.

كما اقترح ميرتون 1957 Merton بأن كل أشكال السلوك الانحرافي تنتج عن تفاوت الفرص في تحقيق الأهداف بالسبل القانونية في المجتمع، وطبقا لهذه النظرية فإن المجتمعات العصرية تؤكد على النجاح المادي عن طريق التعلم، لكنها توفر وسائل محدودة لكل واحد لتحقيق تلك الأهداف شرعيا، وعليه فإن المجموعات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا تلجأ إلى الطريق غير القانونية، لأن فرص التحصيل على المواد الاستهلاكية محدودة، وقد أشار ميرتون إلى أن الفروق بين طموحات فئة الشباب الفقير وبين ما هو متوفر لهم في الواقع هي مصدر انحرافهم⁽³³²⁾.

وقد تحاول بعض الجماعات التقليل من حدة الاعتداء على المعيار أو تلمس المعاذير، وقد يؤدي عدم وضوح المعيار إلى بلبلة الأفكار والاتجاهات وخاصة عندما يعني المعيار بالنسبة لفردين أو أكثر شيئا مختلفا، وقد تحدث الاعتداءات على المعايير بصورة سرية فيظل المعتدون بمنأى عن العقاب الاجتماعي أو القانوني. وقد تبقى الاعتداءات على المعايير إذا شملت أشخاصا لا يتعاونون مع أجهزة الضبط الاجتماعي في كشف المعتدين ونوع اعتدائهم.

وكذلك فإن الأمراض الاجتماعية، وعلى رأسها الفقر وما يرتبط به من السكن غير الملائم في المناطق المختلفة والحياة اليومية والمستوى المعيشي الاقتصادي الخاص بالأفراد ونقص الوسائل الترويحية، ونقص التعليم والفساد والانحلال الأسري والتحضر وبيئة العمل وكذلك وسط المؤسسة العقابية ومجتمع المقهى والأصدقاء، ترتبط جميعها بمعدلات الجريمة والانحراف⁽³³³⁾.

ويؤكد ذلك ميرتون (Merton) فيرى أن السلوك الجانح في غالبية لا ينشأ نتيجة دوافع وبواعث فردية للخروج عن قواعد الضبط، ولكنها على العكس تشكل جنوحا اجتماعيا هو حصيلة تعاون كل من النظام الاجتماعي وثقافة المجتمع.

ويرى رجب أن عوامل الفقر وعوامل التغيير السكاني والظروف السكنية، والاضطرابات العقلية ترتبط جميعها ارتباطا كبيرا بالجريمة، والانحراف، كما أنها ترتبط فيما بينها ارتباطا كبيرا ويوحى ذلك بأن هذه العوامل كلها ما هي إلا مظاهر لعامل أساسي واحد هو التفكك الاجتماعي أو قصور جهد المجتمع المحلي في مواجهة المشكلات⁽³³⁴⁾.

واعتبر عالم الاجتماع الأمريكي ثورستين سيللن Thorton sellim أن التفكك الاجتماعي يلعب دورا هاما في نمو ظاهرة الإجرام فقد يكون الفرد عضوا في عدة جماعات كجماعة الأسرة ويمثل

332 - Merton, R.K, Anomie, anomia end social interction, Amoni and deviant Behaviw, free press, New York, 1964, p p 213.215.

333 -د/ حسين عبد الحميد رشوان، الجريمة: دراسة في علم الاجتماع الجنائي، مرجع سابق، ص ص 136، 137.

334 - نفس المرجع، ص 137.

معاييرها السلوكية، وقد ينمي في نفس الوقت الى جماعة أوقات الفراغ واللهم والعمل، وأخرى للدين ولكل هذه الجماعات معاييرها السلوكية وقد تلتئم مع معايير الأسرة وقد لا تلتئم معها.

ويضيف سيللن أن التكامل الاجتماعي وما يرتبط به من تناسق أو انسجام هو الذي يصنع الضمير العام أو الشعور بالتكامل الاجتماعي الذي يعد أقوى حاجز ضد الجريمة فإن التفكك وضعف التناسق في المجتمع يؤدي بالتالي إلى ازدياد نسبة الإجرام وينبغي اعتباره السبب الحقيقي وراء الظاهرة الإجرامية في المجتمعات المتقدمة⁽³³⁵⁾.

ولا شك أن عوامل الحياة في كل مجتمع لها طابعها الخاص وذلك كمجتمع الحضر، ومجتمع الريف ومجتمع الصناعة، ومجتمع التجارة، ومجتمع الحرب، ومجتمع السلم، ومجتمع الجنوب، ومجتمع الشمال، وهناك ظواهر إجرامية عامة، ترتبط بهذه العوامل وتتأثر بها كما وكيفا.

ويرى بعض العلماء أن بعض الجماعات الانحرافية تكون من القوة بحيث تضع لنفسها ثقافة خاصة تزين الانحرافات وتخلق قانونا، فقد ذهب وركلس Reckless الى أن تباين معدلات الجريمة والطبقات داخل المجتمع الواحد إنما يوعد الى وجود ثقافات تميل الى تأييد السلوك الإجرامي.

كما أن الأسرة تلعب دورا أساسيا وهاما في حياة الفرد لأنها هي مصدر التكوين الأساسي له، فهي أيضا من أهم العوامل المسببة للانحراف والجريمة وهي العامل المشترك الذي يقف عنده كل باحث في أسباب الجريمة.

ففقر الأسرة وانخفاض مستواها الاقتصادي وازدحام المسكن وزيادة الكثافة وانعدام وسائل الراحة والترويح وانخفاض مستوى المأكل والملبس والمأوى والتعليم والصحة يولد لدى الحدث الشعور بالدونية والنقص مما يهيئه للانحراف والجريمة⁽³³⁶⁾.

ويدفع الانهيار الخلقي والمستوى الخلقي المتدني للأسرة الأبناء إلى الانحراف ويقصد بالانهيار الخلقي انعدام القيم الروحية وفقدان المثل العليا واختلال المعايير الاجتماعية داخل جدران المنزل ، مثل هذه الأسرة تكون الحياة فيها مجردة من معاني الشرف والفضيلة أو السلوك الطيب، ويصبح فيها الانحراف والاعوجاج وسوء الخلق أمرا عاديا لا يرى فيه أفراد الأسرة غضاظة ولا يحسبون فيه معنى الفضيلة، وأهم عوامل الانهيار الخلقي داخل الأسرة هو انحراف الوالدين أو كلاهما، أو انحراف أكبر الأبناء أو أكبر البنات، فالأب المنحرف يمكن أن يمارس تأثيرا إجراميا من خلال اقتداء الابن به،

335 - Raymand Gassin, Criminologie, 4eme ed, edition DALLOZ, Paris, 1998, p428.

336 - د/ حسين عبد الحميد رشوان، مرجع سابق، ص 145.

والأم المنحرفة تدفع غالبا بناتها إلى هذا الطريق، أو على الأقل تشجعهن على الاندفاع فيه، أو لا تصدھن عن ارتياده وذلك من خلال حل مشاكلها بالتوجه إلى الانحراف السلوكي⁽³³⁷⁾.

خاتمة:

من خلال التطرق الى ظاهرة الفقر ومعرفة جوانبها وعلاقتها بالسلوك الانحرافي نستنتج أن ظاهرة الفقر تعتبر من المفاهيم النسبية التي تختلف تعاريفها ومضامينها العملية باختلاف المجتمع والمرحلة التاريخية والتنموية التي يمر بها ، والعديد من القيم الاجتماعية الأخرى، فإن النظر لأبعاد المشكلة وطبيعتها ومسبباتها يعتمد ليس على الفلسفة الفكرية التي يحملها الباحث وحده، وإنما الأخذ بعين الاعتبار ظاهرة الفقر وما يترتب عنها من نتائج سلبية وخلل اجتماعي (انحراف، لامعيارية) في السلوكات، كما يقول دوركايم Durkheim في هذا الصدد "... بالنسبة للمجتمعات مثلها مثل الأفراد، فالصحة طيبة، ومحمودة، عكس المرض فهو الشيء السيئ والذي يجب تفاديه"⁽³³⁸⁾.

³³⁷ - نفس المرجع، ص 150.

³³⁸ - Durkheim Emile, les règles de la méthode sociologie, Quadrige press, université de France, Paris, 9^e édition, 1987.